



علياء حسين هاشم
جامعة القادسية / كلية التربية

أ.د مزاحم مطر حسين
جامعة القادسية / كلية التربية

mun19812@yahoo

تاريخ تقديم الطلب: 2018/1/17

تاريخ كتاب قبول النشر: 2018/1/14

الملخص

واحدة من حيث الطول وحجم المادة الأدبية المعروضة في هذه الكتب التي تختلف من حيث الزمن ومن حيث ثقافة المؤلف ومنهج المتبع في التأليف، لذلك انقسمت مادة البحث في قسمين، تناول الاول منهما دواعي التأليف عند أصحاب المجالس، حيث تعددت هذه الدواعي بين الجمع والتدوين والعبارة والموعظة والانس والمجالسة ودوافع اخرى، وتناول القسم الثاني بنية المجلس التي انقسمت في ثلاثة انواع هي: الطويل والقصير والممتد.

يتناول البحث منهج الدرس الأدبي الذي سار بموجبه التأليف في كتب المجالس عند العرب ابتداءً بمجالس ثعلب ومروراً بكتب المجالس الأخرى كبهجة المجالس والجليس الصالح الكافي وغيرها وانتهاءً بطراز المجالس للخفاجي. ويسلط البحث الضوء على دواعي التأليف في هذا النوع من الكتب وأقوال القدماء فيه، ثم الانتقال الى البنية التي يتكون منها المجلس وكيف تطورت عند أصحاب المجالس، فمهما تشابهت هذا المجالس فإنها لم تكن على وتيرة

الملخص باللغة الانجليزية

The research deals with the curriculum of the literary lesson through which the authorship proceeded in the books of the Councils of the Arabs, starting with the Councils of Fox and through the books of other councils such as the Council of the Councils and the Good and the Good Council and others,

The research highlights the reasons for the

authorship of this type of books and the sayings of the ancients in it, and then the transition to the structure of the Council and how it evolved in the Councilors, how similar these councils were not at the same pace in terms of length and the size of literary material presented in these books The first part dealt with the reasons of authorship among the owners of the councils, where there were

many reasons among the collection, codification, transgression, exhortation, manners, and other motives. The second section dealt with

the structure of the council which It is divided into three types: long, short and extended.

أولاً: دواعي التأليف

يختلف الباعث على التأليف الأدبي عند العرب من مؤلف إلى آخر بحسب نوع المادة التي يتناولها الكتاب وبحسب شخصية المؤلف وبحسب العصر الذي ينتمي إليه، فتميل العصور الأولى كالقرن الأول والثاني الهجريين الى ان لا يذكر المؤلف سبب التأليف غالباً، أما في العصور المتأخرة في القرن الثالث وما بعده نجد أكثر المؤلفين يذكر السبب.

فالمادة العلمية التي يحملها الكتاب تحتاج إلى توضيح ذلك الداعي من وراء التأليف، وهناك مواد علمية لا تحتاج إلى توضيح السبب كالمادة المعجمية التي وضعت في كتب المعاجم المختلفة، أما الشخصية فقد تحتاج الشخص إلى توضيح سبب التأليف أو يعتبره حاجة ملحة لابد من تفسير العلم وتقديمه نفعاً للآخرين.

وقد يذكر المؤلف سبب التأليف في مقدمة كتابه ويشير له صراحة أو لا يفعل ذلك. اي يتركه للدارس يستنتجه من مادة الكتاب. وفي كتب المجالس نجد الطريقتين. فمنهم من ذكر الداعي الذي من اجله وضع كتاباً في المجالس. ومنهم من ترك هذا الشيء ولم يشير له.

وقد تعددت دواعي التأليف في كتب المجالس وتوسعت ويمكن

تصنيفها في مجموعة من الأسباب هي :

1. الجمع والتدوين

إن جمع المادة الأدبية وتدوينها مرحلة مهمة من مراحل التأليف عند العرب وتتصل بمجالات الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية عندهم، فبعد أن كانت الثقافة والعلوم تنتقل شفاهاً من جيل إلى جيل وخوفاً من ضياعها وتغيرها ظهرت الحاجة الى التدوين وجمع في كتب ومدونات وكان جمع القرآن الكريم اللبنة الأولى في هذا الموضوع، فتأثر بذلك الحديث النبوي الشريف واخذ الرواة يقصدون المدن والحوضر لجمع الحديث وتدوينه فينتقل هذا الاثر الى العلوم الاخرى ومن بينها الادب بقسمين الشعر والنثر وظهر الرواة يحفظون ويجمعون للشعراء من العصر الجاهلي الى العصر العباسي ((ومع اكتمال حركة التدوين وازدهار حركة التعريب والترجمة والتطور الفكري والحضاري بدأ يظهر شعور بضرورة التصنيف والترتيب لما تراكم من ثقافة ومعارف وآداب)) (1)

من خلال كتب المجالس نجد أن الطريقة المثلى لديهم في جمع المادة الأدبية لا تختلف عما حصل

نهاية الكتاب. قال في المجلس الأول وعنوانه (مجلس عيسى بن عمر النقي مع أبي عمرو بن العلاء): ((حدثني أبو عبد الله الحسن بن علي قال: حدثني أبو عبد الله اليزيدي عن عمه عن جده أبي محمد، وقال أبو جعفر محمد بن حبيب: ذكر أبو محمد اليزيدي قال: جاء عيسى بن عمر إلى أبي عمرو بن العلاء ونحن عنده.))⁽⁶⁾ ثم أتم الخبر إلى آخره. وإذا لم يصرح ثعلب

والزجاجي بالدافع الذي دعا إلى التأليف فإن القرطبي قد صرح بذلك في مقدمة كتابه (بهجة المجالس) فذكر جملة من الدواعي التي دفعته إلى وضع كتابه هذا منها: جمع المادة الأدبية، قال: ((ولا لشيء أنظم لذلك كله، وأجمع لفنونه، وأهدى إلى عيونه، وأعقل لشارده، وأتقف لنادره، من تقييد الأمثال السائرة، والأبيات النادرة، والفصول الشريفة، والأخبار الطريفة))⁽⁷⁾.

فالأمثال والأبيات الشعرية والأخبار هي مكونات المادة الأدبية التي يتشكل منها الدرس الأدبي، وعملية تقييدها وجمعها هو السبب الباعث على عناية القرطبي في كتابه هذا حيث عطف عليها النوادر الأجوبة المُسكتة والحكم، قال: ((ونوادر العرب وأمثالها، وأجوبتها ومقاطعها، ومبادئها وفصولها، وما حوّه من حكم العجم، وسائر الأمم، ففي تقييد أخبارهم وحفظ مذاهبهم، ما يبعث على امتثال طرقهم واحتذائها، واتباع آثارهم واقتفائها))⁽⁸⁾.

في الثقافة العربية وكيف دوّنت العلوم وجمعت المواد بل جاءت كتب المجالس امتداداً لهذه الجهود. ولدينا ثلاثة من كتب المجالس جاء التأليف فيها لحاجة جمع المادة الأدبية المتناثرة على شكل روايات ووضعها في كتاب أو إملاؤها في كتاب معلوم، وهذه الكتب هي: (مجالس ثعلب) و (مجالس العلماء) للزجاجي و (بهجة المجالس) للقرطبي.

ويؤكد مجالس ثعلب هذه الطريقة في التأليف في الجمع والتدوين، فالكتاب بدأ على شكل روايات تحفظها القلوب وتتناقلها إلى الأسماع جيلاً بعد جيل إلى أن املاها ثعلب على تلاميذه، فالمرويات عنده تسند إلى ((أبي الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقة بن كليب الحراني))⁽²⁾ وهو بدوره ينقل عن راوٍ آخر وآخر عن ((أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب))⁽³⁾ وثعلب بدوره يروي عن ((عمر بن شبيبة))⁽⁴⁾ إلى أن يصل إلى الخبر الذي يريده وهو خبر ((أم سعيد بنت سعيد بن عثمان بن عفان))⁽⁵⁾ وهكذا الحال في روايات وأخبار الكتاب الأخرى، من دون أن يضع للكتاب مقدمة أو خطبة.

وفي كتاب مجالس العلماء للزجاجي نجد أن الطريقة الشفاهية تتكرر فيه، فالزجاجي يريد أن يجمع الأخبار التي حفظها ورواها عن أساتذته وثقاته في كتاب واحد، لذا بدأها بدون مقدمة أو خطبة وإنما اقتصر على رواية المجلس الأول لينتقل بعده إلى الثاني وهكذا إلى

لأولي الألباب (11) لذلك يرى هؤلاء العلماء من أصحاب المجالس أنّ اختيار مجموعات كبيرة وضخمة من هذه الأخبار سيثمر لامحالة عن طريق الموعظة والاعتبار. وتدلّ الأخبار والأشعار الواردة في كتب المجالس في الزهد وذم الدنيا على دافع العبرة والموعظة عند مؤلفي هذه الكتب (12)، ويشير كل من كتاب: (المجالسة وجواهر العلم) وكتاب (الجليس الصالح والأنيس الناصح) إلى هذا الدافع، وكلهم قد ذكروا صراحةً في مقدمة كتبهم هذا السبب.

ففي (المجالسة وجواهر العلم) يدلّ كلام الدينوري على اختيار هذه المادة جاء لدافع ديني يحث على الزهد والعبرة والاعتناظ بأخبار الأولين، فقال في مقدمة كتابه: ((ولم أدع شيئاً يحتاج إليه العالم والمتعلم ويجري ذكره في مجالسهم إلا وقد ذكرت في كتابي هذا منه طرفاً، وجعلته مختصراً..)) (13) وما يحتاجه العالم والمتعلم من أشياء تضمنها الكتاب هي:

- التفسير ومعاني القرآن.
- الحديث النبوي الشريف.
- حديث الصحابة وأخبارهم.
- أخبار التابعين والزهاد والحكماء.
- الشعر والنوادر وأيام العرب.

وقد وصف هذه الأشياء بما يجعلها أهلاً لتعلمها والعمل بها وأخذ العبرة والموعظة مما جاء فيها: ((فإنّ خير العلوم أنفعها، وأنفعها

وكرر القرطبي التقييد توكيداً لسبب التأليف وتعميماً للفائدة من هذا التقييد أما صفة الجمع والتدوين فقد أكدها القرطبي في مقدمته أيضاً: ((وقد جمعت في كتابي هذا من الأمثال السائرة والأبيات النادرة والحكم البالغة والحكايات الممتعة في فنون كثيرة وأنواع جمّة)) (9) ويظهر التطور في هذا الدافع أي الجمع والتدوين واضحاً، فتغلب والزجاجي لم يشير إلى الداعي لوضع المجالس صراحةً وإنما يستنتج من كلامهما، ولم يضعها مقدمة لكتائبيهما، وهذا النوع من التأليف شائع في عصرهما ولا يقتصر على هذين الكتّابين، بل نجد في كتب الأمالي ما يُشابه ذلك، فهذا كتاب (أمالي المرتضى) يخلو من مقدمة ويبدأ المؤلف بأول مجلس مباشرة (10).

وإذا وصلنا إلى القرطبي في (بهجة المجالس) وهو متأخر بأكثر من قرن تقريباً عن تغلب والزجاجي نجدّه يُصرح بدواعي التأليف عنده ويضع مقدمة طويلة لكتابه المذكور.

2. العبرة والموعظة

يكون السبب الديني متمثلاً بالعبرة والعظة باعث لتأليف كتب المجالس، وهذا الأمر مشترك في حقول أخرى يكون الباعث فيها هو كسب الأجر والثواب من خلال تقديم المادة التي تُذكر وتُحث على الاعتبار بتجارب الأمم وما حصل للأخريين مما يكسب الموعظة لمن يطلع على أخبارهم وتجاربيهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ

المجلس ((وافتتحت أكثر أبوابه بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم تبرُّكاً بتذكاره، وتيمناً بأثاره)) (18) وقد جعل القرطبي عمله هذا هدية يقدمها الى قرائه ليزيده الله من رضاه ويهديه ويصرف عنه السوء وذلك اتباعاً للحديث النبوي الشريف الذي ذكره القرطبي في مقدمته وهو: (ما أهدى المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة واحدة يزيد الله بها هدىً، ويصرفه بها عن ردى) (19).

ورد دافع العبرة والموعظة في المجالس التي اختارها ابن الجوزي في كتابه (الجليس الصالح والأنيس الناصح) وذكر في مقدمته خمسة دافع جعلته يؤلف في موضوع المجالس، الثالث والرابع منها يتصلان بالعبرة والموعظة. قال ابن الجوزي: ((الثالث: التذكير بسير من سلف من المتقدمين ليقتدى بسيرهم. الرابع: إنَّهُ لما لم يكن عندي ما أهديه على مقدار ما اعتقد فيه وإن كان مستغنياً عنه أثرت أن أهدي إليه موعظة وإن كان غنياً عنها بما عنده من العلوم غير إن (الذكرى تنفع المؤمنين) (20).)) (21)

فهذا بيان مفصّل عن دوافع التأليف وهو التذكير بسير الامم السالفة يكون الغرض منه الاهتداء بهذه السير، اما الموعظة فهي الدافع الاخر التي يقدمها المؤلف لقرائه سواء كان القارئ محتاج الى هذه الموعظة او لم يكن محتاج اليها، فيأتي بها لغرض الذكرى، ودلّ النص القراني على ذلك.

3. الانس والمجالسة

أحمدها مغبة ما تُعلّم وعلّم الله تبارك وتعالى وأريد به وجهه، ونحن نسأل الله أن يجعلنا بما علمنا عاملين، وبأحسنه آخذين)) (15).

ويتناسب دافع التأليف عند الدينوري مع المادة الأدبية التي تمثل الدرس الأدبي عنده والتي ذكرها في كتابه هذا كالحديث عن الاعتبار والاعتذار والاصلاح والاستقامة والاستغفار والاستعطاف وأداء الامانة وعمل المعروف وغيرها (16). وهذه الموضوعات تحت على العظة والاعتبار واخذ الحكمة من تجارب الامم.

أما القرطبي فقد اختار هذا السبب أيضاً ليكون أحد الدواعي التي ذكرها لغرض تأليف كتابه بهجة المجالس وتدل المقدمة على هذا الكلام حيث قال:

((وبعد: فإنّ أولى ما عُني به الطالب ورغب فيه الراغب، وصرف اليه العاقل همّه، وأكد فيه عزمه، بعد الوقوف على معاني السنن والكتاب، مطالعة فنون الآداب، وما اشتملت عليه وجوه الصواب، من انواع الحكم التي تحيي النفس والقلب، وتشحذ الذهن واللب، وتبعث على المكارم، وتنتهي عن الدنيا والمحارم)) (17).

إحياء النفس والقلب وشحذ الذهن يكون بمطالعة هذه الاشياء من آيات وأحاديث واخبار وحكايات التي اختارها المؤلف ونظمها في مجالس متنوّعة تتصل موادها بما ذكر من سبب أو داعي للتأليف.

ويدل افتتاح مجالسه بحديث نبوي شريف يتكرر في بداية

المجالسة والأنس لم تكن الدافع الذي اكتفى بذكره المؤلف في مقدمة كتابه وإنما تضمن العنوان أيضاً، وهذا الكتاب بمحتوياته يكون للقارئ كالجليس والآنيس والصاحب الذي وصفه المؤلف بهذه الصفات: الكمال والفضل والعقل، ثم ذكر المؤلف آياتاً من الشعر في مدح الجلساء من الكتب التي يطالعها الإنسان فيحصل بها على المؤانسة⁽²⁵⁾.

كذلك ذكر المعافى تجربة شخصية حصلت معه تؤكد فضل الأنس والمجالسة لهذه الأخبار والروايات وفضل المطالعة فيها، فذكر أن بعض أصحابه من ذوي السلطان عاتبه على عدم خروجه من منزله، وعدم استيحاشه من الوحدة، فذكر له أنه ((في أحسن أنس وأجمله))⁽²⁶⁾ وهو يطالع هذه الكتب وينظر في أخبار الملائكة والأنبياء والصالحين والخلفاء وغيرهم من الأعلام والحكماء فكأنه ((مُجالسٌ لهم، ومستأنسٌ بهم وغير ناءٍ عن محاضرتهم لوقوفه على أنبائهم ونظري فيما انتهى إلي من حكمهم وأرائهم))⁽²⁷⁾.

أما كتاب (بهجة المجالس) للقرطبي فذكر مؤلفه أنه سيكون أنيساً لمن يجالسه: ((وضمنته روايتي وعنايتي، ليكون لمن حفظه ووعاه وأتقته وأحصاه زيناً في مجالسه، وأنساً لمجالسه، وشحذاً لذنه وهاجسه... ويكون لقارئة أنساً في الخلاء، كما هو زين له في الملاء، وصاحباً في الاغتراب، كما هو حليٌّ بين الأصحاب))⁽²⁸⁾.

من الدوافع في التأليف الأدبي في كتب المجالس عندما يكون غرض المؤلف أن يضع كتاباً لأجل أن يستأنس القارئ به وبمجالسته واتخاذها صديقاً له، فكثير من كتب الأدب القديمة اهتمت بفكرة أن يحدث الإنسان كتاباً يطلع من خلاله على تجارب الناس والماضين ويقف على آثارهم وحكمهم وأمثالهم فيحدث له أن يتأثر بها، ففي كتاب الأغاني يشير أبو الفرج الأصفهاني إلى هذه الفكرة ويذكر هذا المعنى⁽²²⁾.

ويكمل هذا الأنس بالظرف والمجالسة عند العرب ((اعلم ان من كمال ادب الأدياء وحسن تطرف الظرفاء صبرهم على ما تولدت به المكارم واجتنابهم لخسيس المآتم، وأخذهم بالشيم السنية والاخلاق الرضية))⁽²³⁾.

ومن بين كتب الأدب كانت كتب المجالس التي يكون الدافع على تأليفها هو الأنس والمجالسة، وهذا ما أشار إليه المعافى في كتابه (الجليس الصالح الكافي والآنيس الناصح الشافي) حيث قال: ((وصدق وسمه بالجليس والآنيس، فإن الكتاب إذا حوى ما وصفنا من الحكمة وأنواع الفائدة، كان لمقتديه والناظر فيه بمنزلة جليس كامل وأنيس فاضل وصاحب أمين عاقل، وقد قيل في الكتاب ما معناه انه حاضر نفعه، مأمون ضره، ينشط بنشاطك فينبسط اليك، ويمل بملاك فينفض عنك، إن ادنيته دنا، وإن أنايته نأى، لا يبعيك شراً ولا يفشي لك سرأ.))⁽²⁴⁾.

فقد ذكر أنه أَلَفَ كتابه ليتدارك النقص الذي وقع فيه سابقوه من المؤلفين في هذا الموضوع، كالمبرد في كتابه (الكامل) والصولي في كتابه (الأنواع) وغيرهم⁽³¹⁾.

كذلك ذكر ان كتابه هذا تدارك الخلل واستوفى المادة ((ومن وقف على ما أتيت به من هذا، عَلمَ ان كتابنا أحق بأن يوصف بالكمال والاستيفاء والتمام والاستقصاء))⁽³²⁾.

وفي كتاب ابن الجوزي وهو (الجليس الصالح والانيس الناصح) ذكر أن من الدوافع لوضع كتابه هذا في المجالس هو تخليد ذكر الملك الذي أهدى إليه كتابه فقال في مقدمته ((أن يُخلد ذكر محاسن هذا الملك ببقاء هذا المؤلف، فإن دعاء الداعي ينقطع بموته وتصنيف الفضائل يبقى على الأباد فتصانيف العالم هم أولاده المخلدون))⁽³³⁾.

فذكر المحاسن يخلد عن طريق وضع هذه المجالس واهدائها الى الملك كونه هو المُجسّد لهذه المحاسن حسب ما يري ابن الجوزي، كذلك هناك سبباً آخر للتأليف ووضع المجالس وهو المحبة والموالاة لهذا الملك، فجاء كتابه تلبية لهذه الحاجة ((إعلامي هذا المجلس السامي بموالياتي ومحبتي واتصال دعائي ومدحتي))⁽³⁴⁾ ثم ذكر حديثاً نبوياً في المحبة والإخاء هو: (إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه)⁽³⁵⁾.

وتؤكد هذه الموضوعات في المجالس التي تناولها ابن الجوزي في كتابه على هذا الدافع⁽³⁶⁾.

فعنوان الكتاب يدل على البهجة وهي تتصل بالأنس والمجالسة وتكون نتيجة لهما، لذلك اختارها المؤلف عنواناً لكتابه.

وذكر في مقدمة كتابه هذا أن الدافع الذي دفعه للتأليف هو أن يكون أنساً للقارئ وشحذاً لذهنه. كذلك تدل الاخبار الكثيرة والنوادر التي ذكرها القرطبي في (بهجة المجالس) على الدافع الذي من أجله أَلَفَ كتابه هذا وهو الأنس والمجالسة حيث تكون هذه المادة من اخبار وروايات ونوادر هي مادة الأنس والمجالسة⁽²⁹⁾.

وتوجد اشارات في مقدمة كتاب (طراز المجالس) للخفاجي الى المجالسة والأنس، وتفوق هذا الكتاب بحسب ما يقوله المؤلف، على بقية كتب المجالس الأخرى بهذه الصفات ((فهذه بنات فكر زففتها إليك وأمالي مجالس أمليتها عليك ممّا تقرُّ به عين الأدب ويتحلى بذوقه لسان العرب لو رآها ابن الشجري لقال هذه ثمرات الألباب أو ابن الحاجب لقام بين يديها من جملة الحجاب أو ثعلب لراغ عما أملاه أو القالي لهجر ما أملاه وقلاه.⁽³⁰⁾ ((..

فذكر هنا اصحاب المجالس والأمالي الذين سبقوه، ويرى ان كتابه فاق مجالسهم.

4. دوافع أخرى

وهناك دوافع أخرى لم ترد فيما تقدم مما كثر عند اصحاب المجالس، ومن هذه الدوافع: سدّ النقص في المكتبة الأدبية واستيفاء التأليف في هذا الباب وهذا ما ورد عند المُعافي في كتابه (الجليس الصالح الكافي)،

فاختار الزجاجي منها مجموعة ووضعها في كتابه تحت عنوان (المجالس) وخصصه بالعلماء لأنه ينقل هذه المسائل التي دارت بينهم نتيجة اجابة على سؤال طرح في حضرة أحدهم فيجيب عنه الآخر.

ونبدأ بالموضوع، فهو رواية بين اثنين من العلماء ينقلها الزجاجي ويعلق عليها أحياناً وفيها نكتة معينة، ولا يعالج في المجلس الواحد إلا موضوعاً واحداً وإن تعددت الروايات أحياناً.

ويبدأ المجلس القصير بالسند ومفاتيحه وهي (حدثنا، حدثني، سمعت، قال ..) وهذه الروايات لاتصدر الا عن علماء دائماً لأن الزجاجي اختار هذه الروايات من وسط معين ولم يتجاوزها الى غيره التزاماً منه بعنوان الكتاب (مجالس العلماء).

وافتح مجالسه بالحديث عن الإعراب واللهجات العربية بنقل بعض الروايات التي أثرت عن العلماء في هذا الموضوع، قال: ((حدثني أبو عبد الله الحسن بن علي قال: حدثني أبو عبد الله اليزيدي عن عمه عن جده أبي محمد وقال أبو جعفر محمد بن حبيب: ذكر أبو محمد اليزيدي قال: جاء عيسى بن عمر إلى أبي عمرو بن العلاء ونحن عنده، فقال: يا أبا عمرو، ما شيء بلغني أنك تجيزه؟ قال: وما هو؟ قال: بلغني أنك تجيز: " ليس الطيب إلا المسك " بالرفع، قال: فقال له أبو عمرو: نمت يا أبا عمر وأدلع الناس، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب، ولا في الأرض تميمي إلا

ثانياً: المنهج وبنية المجلس النهج هو الطريق المستقيم⁽³⁷⁾، والمنهج هو الطريق الواضح البين، والمنهج هو الأسلوب الذي يقود الى هدف معين في البحث والتأليف او في السلوك⁽³⁸⁾، بمعنى إن المنهج وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة⁽³⁹⁾.

والبحث في منهج مؤلف معين او كتاب معين يعني النظر في بناء هذا الكتاب من حيث الهيكل العام للكتاب منذ البداية وحتى النهاية وملاحظة ما بين ذلك من صور توزيع المادة العلمية بشكل كلي او جزئي⁽⁴⁰⁾.

والبحث في كتب المجالس يشير الى ان اصحاب المجالس ينطلقون من منهج علمي في وضع الكتاب وتأليفه، ويقسم المجلس حسب المنهج المتبع عند مؤلفي المجالس الى أشكال ثلاثة هي: المجلس القصير والمجلس الطويل والمجلس الممتد، وتتشابه هذه الأنواع في منهج التأليف في تنطلق من منهج واحد يكون مشتركاً فيها جميعاً لكن الفارق بينهما هو الطول وقصر لمجلس وامتداده.

البناء القصير (المختصر) ويتبع فيه المؤلف بناءً مختصراً قائم على خبر واحد او رواية واحدة يُعالج فيه موضوع محدد دون ان يتشعب هذا الموضوع، ويمثل هذا الاتجاه في بنية المجالس كتاب (مجالس العلماء) للزجاجي، فقد وضعه مؤلفه لنقل أخبار حول مسائل حصلت بين العلماء ووصلت إليه عن طريق الرواية والسند،

يربط بينها بخيط حتى لاتبدو متفرقة وانما متسلسلة ومتواصلة ينتقل المؤلف فيها من قضية الى أخرى ناقلاً ومعلقاً وشارحاً، ولما كان منهج هذه المجالس يميل الى الاطالة ولا يكتفي بالموضوع الواحد والمسألة الواحدة اخذ بالاعتماد على تكثير الروايات والاخبار بحسب تعدد الموضوعات فنجد السند يكثر هنا بحسب الروايات المذكورة.

ويمثل كتاب (الجليس الصالح الكافي) للجريدي هذا المنهج في التأليف وقد بدأ مجالسه بحديث (من كذب علي متعمداً) (43) قال: ((حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي في يوم الاثنين لثلاث ليال خلون من المحرم سنة سبع عشرة وثلاثمائة، قال: حدثنا الأوزاعي، قال: حدثني حسان بن عطية، قال: حدثني أبو كبشة: أن عبد الله بن عمر حدثه، انه سمع رسول الله ﷺ يقول: (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)) (44).

فبدأ المجلس الأول بحديث له سند طويل وسيكرر هذا المنهج في افتتاح المجالس اللاحقة في هذا الكتاب (45).

وقد علق الجريدي على الحديث وشرح معنى الآية الواردة في قول الرسول (ص) والوقوف على مسائل اللغة والنحو الواردة فيه (46)، وايتدل بالشعر على الألفاظ ومعانيها (47)، ثم ذكر الوجوه النحوية في (لاحول ولا قوة إلا بالله) (48) ثم

وهو يرفع قال اليزيدي: ثم قال أبو عمرو: تعال أنت يا يحيى، وتعال أنت يا خلف - لخلف الأحمر — اذهباً إلى أبي المهدي فلقناه الرفع فإنه لا يرفع، واذهباً إلى المنتجع التميمي ولقناه النصب فإنه لا ينصب. قال: فذهبت أنا وخلف وأتينا أبا المهدي فإذا هو يصلي وكان به عارض، وإذا هو يقول في الصلاة: إخشانان عني! قال: ثم قضى صلاته وانفتل إلينا، فقال: ما خطبكما؟ قلنا: جئنا نسألك عن شيء من كلام العرب. فقلت له: كيف تقول: ليس الطيب إلا المسك؟ فقال: أتأمراني بالكذب على كبرة سني فأين الجادي؟ قال ابن حبيب: وحكى ابن الأعرابي: فأين بنة الإبل؛ وأين كذا وأين كذا؟ قال اليزيدي: فقال له خلف: ليس الشراب إلا العسل قال: فما يصنع سودان هجر، ما لهم شراب إلا هذا التمر...)) (41).

ثم نقل الزجاجي أخباراً عن المعنى ورواية الشعر وتصحيح الرواية والسرقات (42)، وكل هذه المجالس متشابهة ولا يطيل المؤلف في بنائها، فتكون بذية المجلس عند الزجاجي بالشكل الآتي:

(فعل النقل + الراوي 3 +
الراوي 2 + الراوي 1 + تعليق أو شرح ..)

(حدثني، قال..)

البناء الطويل

يتبع المؤلف في هذا النوع منهجاً مشابهاً لسابقه لكنه لا يكتفي بمعالجة مسألة واحدة او موضوع واحد وانما يمتد فيه الحديث ليشمل مسائل وموضوعات عديدة، لكن

وتشعبت يبقى الدرس الأدبي هو السائد والغالب على هذه الموضوعات كما تبين في المجلسين السابقين أو غيرهما من مجالس الجريري، وعليه يكون بناء المجلس الطويل بهذا الشكل الآتي :

(حديث الافتتاح + تعليق + مسألة أدبية + خبر أو أكثر + شعر + تعليق)

(حدثني، قال ..)

أما الكتاب الآخر الذي يسير في بنائه على هذا النمط فهو كتاب (الجليس الصالح) لابن الجوزي الذي أتبع فيه تقسيم مجالسه إلى ابواب يختص كل واحد منها بموضوع معين يذكر فيه ما يتصل بهذا الموضوع مع ذكر الأمثلة اللازمة له والخبار الدالة عليه، ومن هذه المجالس حديثه عن (الحاجة إلى الموعظة) فقد تضمن المجلس مقدمة عن احوال النفس البشرية وما تتراح إليه ثم موعظة وذكر روايات واحاديث نبوية تحت على ذلك ثم ابیات من الشعر في نفس الموضوع وختمه برواية حول ملك من الملوك⁽⁵⁹⁾.

ويسير على هذا المنهج كتاب (طراز المجالس) فمجالسه من النوع الطويل لكنه محدد ببداية ونهاية معروفة وتتكون بنيته من مكونات ادبية ولغوية، لكنه يختلف عن غيره من كتب المجالس في كونه يحذف السند ولا يعتمد على الرواية في ذكر اخبار وانما يدخل في موضوع الرواية مباشرة، قال في مجلسه الأول الذي خصصه للحديث عن الشعر:

رجع الى الحديث النبوي الشريف الذي افتتح به المجلس (من كذب علي) وذكر عدة طرق واسانيد لرواية هذا الحديث⁽⁴⁹⁾، ثم تطرق لذكر بعض نوادر والأخبار (مجنون بني سعد)⁽⁵⁰⁾ وما تضمنه من اشعار من ابیات ومقطوعات ثم علق على هذا الخبر وختم المجلس بقوله: ((قد انهينا هذا المجلس الى هنا لنلا يُستطال إذ قد تقدمته خطبة ورسالة والله المستعان))⁽⁵¹⁾.

وفي مجلس آخر يبدأ الجريري كتابه بسند طويل وسلسلة من الرواة لحديث (جريح) صاحب الصومعة⁽⁵²⁾، ودعاء أمه عليه والتعليق الجريري النهرواني على الخبر⁽⁵³⁾.

ثم انتقل المجلس لشرح حروف المقاربة وبعض الألفاظ اللغوية الواردة في الحديث⁽⁵⁴⁾، ثم عاد بعد ذلك الى سياق الحديث الذي افتتح به المجلس⁽⁵⁵⁾، ثم حديث عن جمع بين لغتين، وشرح مفصل عن معنى الفتنة⁽⁵⁶⁾.

ثم ينتقل بعد ذلك الى سبب نزول الآية (واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا)⁽⁵⁷⁾ ثم تلته أقوال وحكم لبعض الأعراب والعلماء⁽⁵⁸⁾.

ثم من خلال ذلك تتضح بنية المجلس المكونة له، فالمجلس طويل لكنه غير ممتد، أي: له بداية وله نهاية معروفة، ويتكون من عدة اخبار والكلام فيه متسلسل يتدخل المؤلف في صياغته وترتيبه، وهذا البناء متشابه في جميع مجالس الكتاب، وان اختلفت موضوعاته من مجلس الى آخر، التي تناولها

يكون المجلس طويلاً لا يقف عند حد معين الا بعد أن يتناول قضايا لغوية ونحوية ونقدية واخبار وروايات وغيرها فيمتد به المجلس بامتداد المادة الموجهة لطلابه او قاموا بتدوينها او روايتها املاءً عليهم، وبتتبع أي مجلس من مجالس ابي العباس ثعلب نجد هذه الحقيقة ظاهرة فيه، فقد بدأ مجالسه بمجلس عقده لذكر اخبار النساء له سند طويل مع تحديد زمان للمجلس ومكان، ثم اخذ يستخرج من الخبر الغريب ويشرح الغامض من ألفاظه وما تبعه من مسائل أخرى، قال:

((أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقة بن كليب الحراني قراءة عليه، حدثنا أبو علي محمد بن سعيد بن نبهان الكاتب قراءة عليه، وأنا أسمع، حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان، قراءة عليه وأنا أسمع فأقر به، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم المقرئ في منزله بحضرة الشارقة بدرب النحاسين، يوم الجمعة صلاة الغداة، سلخ جمادى الآخرة من سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، حدثنا أبو العباس أحمد ابن يحيى النحوي، حدثنا ابن شبة قال: أخبرني الطائي قال: قال القاسم ابن معن: كانت أم سعيد بنت سعيد بن عثمان بن عفان عند هشام بن عبد الملك، ثم طلقها فندم على طلاقها، فنزوحها العباس بن الوليد بن عبد الملك)) (66).

ثم أكمل خبر أم سعيد وزوجها في بني مروان وطلاقها

((الشعر كلام مقفى موزون بالقصد، فخرج بقيد القصد\ ما كان موزوناً من القرآن والحديث، وقال السكافي لا يسمى شعراً لتغليب النثر عليه..)) (60). ثم ذكر اقوال العلماء فيه وانتقل الى المسائل الاخرى تتصل بالموضوع كالتشبيه والاستعارة وغير ذلك (61).

ويتبع منهج البنية الطويلة كتاب (بهجة المجالس وأنس المجالس) لابن عبد البر القرطبي، فمجالسه طويلة لكن بنياتها محددة وتُعرف بداية المجلس ونهايته، وكل مجلس من مجالسه يعالج موضوعاً محدداً، فبدأ بأداب المجالسة والجليس وحمد اللسان والبيان (62)، ثم ذم العي والحشو واجتناب اللحن (63)، وما زال ينتقل من مجلس الى اخر الى ان ختم كتابه بالحديث عن الهوى وعشق النساء (64)، فبنية المجلس في هذه المجالس تتكون من سند قصير فيروي المؤلف عن سماعه مباشرة او اخبره عنه راوي اخر من دون ان يعلق المؤلف على ذلك، فقال في المجالس الاول من كتابه:

((أخبرنا عبد الله بن محمد بن يوسف، واحمد بن عبد الله بن عمر، وخلف بن سعيد بن أحمد، وسعيد بن سيّد... عن ابي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قام من مجلسه، ثم رجع فهو أحق به)) (65).

البناء الممتد (المجلس المفتوح)

يكون بناء المجلس الممتد او المفتوح أقدم أنواع المجالس ويرجع الى مؤسسه ثعلب، حيث

سمعت سفيان بن عيينة يقول معنى قول النبي ﷺ من نوقش الحساب عذب قال سفيان والنقش هو الاستقصاء حتى لا يترك منه شيء قال ثم التفت إلينا سفيان فقال أبشروا فإنه ما استقصى كريم حقه قط أما سمعت قوله عز وجل (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً) إلى قوله عز وجل ﴿ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ (68) فالله تبارك أكرم الأكرمين)) (69)

ويطول المجلس عنده ولا يتوقف حتى نهاية الكتاب، وقد بدأ بالدعاء بعد مقدمة طويلة قال: ((حدثنا الحارث بن أبي أسامة، أنبأنا يحيى بن عبد الحميد الحماني نا محمد بن أبان عن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي (ص) قال: (وذكرهم بأيام الله) (70) قال: بنعم الله عز وجل. ..)) (71)

ثم استمر في نقل الأحاديث عن الدعاء والقول فيه ثم انتقل إلى الوعظ والحساب يوم القيامة وعمل ابن ادم في هذه الدنيا، ثم تكلم عن الخلق وآيات القرآن الكريم. واغلب هذه المجالس في هذا الكتاب متشابهة فيبدأ بالسند كما مرّ ثم المتن دون ان يعلق او يشرح شيئاً فيكون بناء المجلس عنه بالشكل الاتي:

(فعل النقل + الراوي 3، 2، 1. .. + فعل سماع او قول) _ الشرح والتعليق.
(حدثني، قال. ..)

وما قالت من شعر وما قال فيها أزواجها. وفي هذا السند الطويل جاء ذكر المكان (بحضرة الشرقية بدرج النحاسين في بغداد) والزمان (يوم الجمعة صلاة الغداة، سلخ جمادى الآخرة من سنة أربع وأربعين وثلاثمائة) لكي يكون منطلقاً ومصدراً لما يجيء بعده من أخبار وحكايات متتالية وما يدخل بينها من مسائل ويأخذ ثعلب بشرحها وبيانها، ابتداء بخبر ام سعيد في المجلس المذكور.

ثم ان الدرس الادبي عند ثعلب ممتد وواسع يسع مكونات كثيرة من تاريخ وأخبار وشعر وغريب قران وغيره، ويمكن تصوير بنية المجلس بالشكل الاتي:
(فعل النقل + الراوي 3، 2، 1+ فعل سماع او قول + تعليق أو شرح.)
(حدثني، قال) (سمعت، قال....)

ثم الغالب في أسلوب ثعلب ان ينهي مجلسه او الخبر الواحد بتعليق او شرح ليبدأ مجلسه الآخر، وبلغ عدد المجالس سبعة مجالس في كل الكتاب، وهذا العدد أثار شكاً عند الباحثين (67)

وجاء بعده الدينوري في كتابه (المجالسة وجواهر العلم) فتابع ثعلب في هذا النظام من التأليف فكانت مجالس الدينوري طويلة ممتدة ولم تتطور في هذا الاتجاه، فالمجلس عنده ليس له بداية أو نهاية، وتأخذ مثلاً من مجالسه قال: ((حدثنا محمد بن عبد الرحمن مولى بني هاشم ابن أبي بزة المكي قال

لديهم في جمع المادة الأدبية لا تختلف عمّا حصل في الثقافة العربية وكيف دوّنت العلوم وجمعت المواد بل جاءت كتب المجالس امتداداً لهذه الجهود.

أما بناء المجلس فيخضع الى ضوابط تعارفها أصحاب كتب المجالس وتتشابه جميع المجالس في كونها لها بداية معلومة وخاتمة معلومة، إلا أنها تختلف من حيث طول المادة الأدبية التي يتناولها المجلس وحجم هذه المادة؛ لذلك كان تقسيمه الى ثلاثة أنواع: قصير وطويل وممتد، وما بدأه ثعلب في مجالسه في هذا النوع من التأليف أصبح نظاماً يسير عليه مجموعة من المؤلفين الذين جاءوا بعده وألّفوا كتاباً في المجالس وقد طوّروا هذا المنهج ولم يبقَ المجلس عندهم مفتوحاً وممتداً وإنما تحوّل الى المغلق المحدد ببداية ونهاية، ويستثنى من ذلك الدينوري في (المجالسة وجواهر العلم) فقد بقي المنهج عنده على ما كان عليه عند ثعلب، وحصل تراجع في مجالسه بالنسبة لمجالس ثعلب، فاكتفى الدينوري بالنقل والرواية وعدم التدخل فيما يرويه ولم يعلق على المسألة او يشرح شيئاً

أما موضوعاته فالغالب فيها الاحاديث النبوية الشريفة ولا يدخل في الدرس الأدبي الا بعد ذكر الحديث ثم الوعظ ثم يدخل بمادة الطرف والنوادر والأخبار وما يدخل في ذلك من شعر وأراجيز مع احتفاظه ببناء المجلس الذي تم ذكره، وهو السند ثم نص الخبر⁽⁷²⁾، ويتبع هذا البناء حتى مع الشعر او نقل أبيات الشعر وروايتها⁽⁷³⁾.

ويدل هذا التقسيم على تطور التأليف في كتب المجالس، وأن ثعلب هو المؤسس لهذا النوع من التأليف فتابعه كل من جاء بعده، وإن حاول بعضهم أن يطور التأليف في المجالس كما تبين في دراسة بنية المجلس الخاتمة

ويمكن اجمال النتائج التي توصل إليها البحث من خلال مسيرته مع مادة المجالس في منهجها ونظام التأليف فيها، فتبين أن دواعي التأليف متعددة حيث يلجأ أصحاب المجالس الى سبب او عدة اسباب فيبينها في مقدمة كتابه ويجعلها الدافع المباشر لوضع الكتاب، وقد اتضح من خلال تتبع الجمع والتدوين أن الطريقة المثلى

من مجالسه كما كان يفعل ثعلب.
الهوامش

11 (نظرية الأجناس الأدبية ، عبد العزيز شبيل 471

2 (مجالس ثعلب 3/1

3 (مجالس ثعلب 4/1

- 4 (مجالس ثعلب 4/1
- 5 (مجالس ثعلب 4/1
- 6 (مجالس العلماء ، الزجاجي 3
- 7 (بهجة المجالس ، القرطبي 35/1
- 8 (بهجة المجالس 36/1
- 9 (نفسه 36/1
- 10 (ينظر : أمالي المرتضى (غرر الفوائد وذُرر القلائد) 4
- 11 (يوسف : 111
- 12 (ينظر : المجلس الصالح الكافي 115/3_116
- 13 (المجالسة وجواهر العلم 283/1
- 14 (نفسه 283/1
- 15 (نفسه 283/1
- 16 (ينظر : نفسه ، الجزء الخاص بفهارس الموضوعات .
- 17 (بهجة المجالس 35/1
- 18 (نفسه 35/1
- 19 (نفسه 37/1
- 20 (الذاريات : 55
- 21 (المجلس الصالح ، ابن الجوزي 27
- 22 (ينظر : الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني 23/1
- 23 (الظرف والظرفاء ، محمد بن اسحاق الوشاء 119
- 24 (المجلس الصالح الكافي 162/1_163
- 25 (ينظر : نفسه 163
- 26 (المجلس الصالح الكافي 164/1
- 27 (ينظر : نفسه 164/1
- 28 (بهجة المجالس ، القرطبي 36/1
- 29 (ينظر : نفسه 566/1

- 30 (طراز المجالس ، الخفاجي ، المقدمة 2
 31 (ينظر : المجلس الصالح الكافي 162/1
 32 (نفسه 162/1
 33 (المجلس الصالح والأنيس الناصح 27
 34 (نفسه 28
 35 (نفسه 28
 36 (ينظر : المجلس الصالح والأنيس الناصح 29
 37 (لسان العرب ، مادة (نهج)
 38 (ينظر: معجم مصطلحات النقد العربي القديم ، أحمد مطلوب 408
 39 (ينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة ، كامل المهندس 393
 40 (ينظر: الخطاب الابداعي الجاهلي والصورة الفنية ، القدامة وتحليل النص ، عبد الاله الصائغ
 290
 41 (مجالس العلماء 3_4
 42 (ينظر: نفسه 22_4
 43 (ينظر: المجلس الصالح الكافي 170/1
 44 (نفسه 170/1
 45 (ينظر: نفسه
 46 (ينظر: نفسه 171/1
 47 (ينظر: نفسه 177/1
 48 (ينظر: نفسه 181_179/1
 49 (ينظر: نفسه 182_181/1
 50 (ينظر: نفسه 185/1
 51 (ينظر: نفسه 188/1
 52 (ينظر: نفسه 188/1
 53 (ينظر: نفسه 190/1
 54 (ينظر: نفسه 195_192/1

- 55 (ينظر : نفسه 196/1)
 56 (ينظر : نفسه 201_200/1)
 57 (الأعراف : 175)
 58 (ينظر : 204/1)
 59 (ينظر : المجلس الصالح 42_39)
 60 (طراز المجالس 3)
 61 (ينظر : طراز المجالس 16_4)
 62 (ينظر : بهجة المجالس 54_39)
 63 (ينظر : نفسه 71_60)
 64 (ينظر : نفسه 815_808)
 65 (نفسه 39)
 66 (مجالس ثعلب 4_3/1)
 67 (ينظر : منهج التأليف عند العلماء العرب ، مصطفى الشكعة 349 ، حيث شكك المؤلف في ان يكون عدد مجالس ثعلب سبعة فقط ، بسبب تداخل المادة واتساع حجم الكتاب الذي لا يعقل ان يكون قد وضع بهذا العدد القليل من المجالس .)
 68 (التحريم 3)
 69 (المجالسة وجواهر العلم ، الدينوري 288_287/1)
 70 (ابراهيم : 5)
 71 (المجالسة وجواهر العلم ، الدينوري 286_284/1)
 72 (ينظر : نفسه 345_329/7)
 73 (ينظر : نفسه 355_347/7)

المصادر والمراجع

القران الكريم

- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تح: د. إحسان عباس، ود. إبراهيم السعافين، ود. بكر عباس، ط3 ، دار صادر ، بيروت 2008 م .

- أمالي المرتضى (غرر الفوائد وذُرر القلائد)، الشريف المرتضى، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة 1954م .
- بهجة المجالس وأُنس المجالس، ابن عبد البر القرطبي، تح: محمد مرسى الخولي، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- المجلس الصالح الكافي والانیس الناصح الشافي، المعافى بن زكريا الجبري النهرواني ، تح: عبد الكريم سامي الجندي ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2005م .
- المجلس الصالح والانیس الناصح ، سبط بن الجوزي ، تح: د.فواز صالح فواز ، ط 1 ، رياض الريس ، القاهرة 1988م .
- الخطاب الابداعي الجاهلي والصورة الفنية ، القدامة وتحليل النص ، عبد الاله الصائغ ، المركز الثقافي العربي. بيروت 1997م .
- طراز المجالس ، شهاب الدين الخفاجي ، المطبعة الوهية ، (د.م) 1284هـ .
- الظرف والظرفاء ، محمد بن إسحاق الوشاء ، تح: كمال مصطفى ، مطبعة الخانجي ، القاهرة 1953م .
- المجالسة وجواهر العلم ، أبو بكر الدينوري ، تح: مشهور بن حسن آل سلمان ، جمعية التربية الإسلامية ، دار بن حزم 1998م .
- مجالس ثعلب، أبو العباس ثعلب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة 1960م .
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مجدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، ط 2 ، بيروت 1984م .
- معجم مصطلحات النقد العربي القديم، أحمد مطلوب ، ط 1 ، لبنان ناشرون ، بيروت 2001م .
- منهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، ط 15 ، بيروت 2004م .
- نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري جدلية الحضور والغياب، عبد العزيز شبيل، دار محمد علي الحامي، ط 1 ، تونس 2001م

